ضحيّة

عبد السلام دغمش

كعادتهِ كلّ يوم، هو أوّل من يصلُ الى عملِه.. وكان لا يغادر المصنعَ الذي يعملُ فيه إلّا وقدْ جالَ ببصره الحادّ، و بجسده النّحيلِ جنباتِ المصنع يتفقّد الآليات واحدةً تلو الأخرى، ويتأكّد أنّ كلاًّ من العمال قد أدّى المهام الموكلة إليه ويستفسرُ عن العلّة، إن كانَ ثمّةَ تأخير.

هكذا كان دأْبهُ، وهكذا عرفهُ أصحابُ المصنع، وإدارتُهُ.. متميّزًا بكدحهِ وإخلاصِه..وفوق ذلك بحُلو معشره .. أَطْرَوْهُ و قالوا أنت ذخْرُنا.. قرّة عيننا ..بلْ "قالبُ السكّرِ" بيْننا.

لازَمهُ ذاك اللّقبُ، فكانَ يُنادى بِ" قالب سكّر.."

سنون طويلة مرّت عليه، وهو يعملُ معهم بجوارحهِ، ونبض قلبه.. كلّ سنةٍ تمرّ كانت تحفرُ في قسماتِ وجهه أخاديدَ شاهدةً على عُمرٍ ولّى لنْ يعود..وتقوّسًا في ظهره يعدّ انحناءاته بعدد السّنين .. قليل الشكوى هو ..يتحاملُ على نفسه إذا أحسّ بالتّعب، ويجرّ جسده للعمل جرّاً إذا داهمهُ مرض.

كان شاهداً على مسيرة المصنع وإدارته لا ينفكّ ينافحُ عنهما، وأكثر ما يسرّه أن يرى المصنع متعافيًا أمام ناظريه، يكبُر كما يكبر أولاده ويشتدّون.

لم يحدثْ يوماً أن طالبَ بترقيةٍ أو زيادةٍ في معاشه.. وكان ذلك في نظرِهِ تجرّؤاً غير مبرّر.. فالإدارة في نظره أعلم بمن يستحقّ، ومن لا يستحقّ، وهي الأمّ الرّؤوم، وهم أولادها. فعليهم أنْ يرضوا بنصيبهم ولن تتخلّى عنهم..

ضائقةٌ ماليّة حطّت رحالَها بين جُدران المصنع، وأقامت بين جنباتهِ تطلُّ عليهم كلّ صَباحٍ بوجهها الكئيب .. فتقلّص كثيرٌ من الأشغال، واضطرّ أغلبُ الموظّفين لتركِ أعمالهم باحثينَ عن عملٍ آخر..أما هو فآثرَ البقاء على مشقّته وفاءً...

صارَ على إدارة المصنع وأصحابه أن يتجرّعوا مُرّ الأقداح.. حينها تذكّروا "قالبَ السكّر" ليتكئوا عليه بما يمتلكُ من درايةٍ وخبرة ..فبذلوا له حُلو الكلام ومدّوا له من الأمنيّاتِ بساطاً تهادتْ عليه أحلامُه. كان عليه أن يصل اللّيل بالنّهار كدّاً وجهداً...ثلاث سنين مرّت على هذه الحال حتّى انفرجت الأمور عليهم، لكنّها ضاقتْ عليه .. لقد ساءَ به الحالُ ووهنتْ أطرافهُ و اعتلّ. ذابت حبّات السّكّر في أقداحهم ليشربوها برْدًا على قلوبهم ..أمّا

وعودُهم فما كانت إلا غرورًا ..تطايرت أمانيّه كقطرات ماءٍ على حرّ الصّفيح..

لم يبقَ من قالب السكّر بعدئذٍ إلّا الغلاف.. صارتْ نظراتُ إدارةِ المصنعِ تزدريه وكأنّه عبءٌ عليهم، وتنشبُ في خاصرته أسهماً تثغبُ حسرة.. شعرَ حينها أنّه لمْ يعدْ مرغوباً به كما كانَ بينهم من قبل.. لملمَ ما تبقّى منه ثم رحلَ تاركاً بقايا من سكّرٍ ووفاءٍ على جدران المصنع!

المجنون

بقلم: كريمة سعيد

اركضي اركضي يا نجيدة ها هو ذا قادم ناحيتنا.. صرخت نجيدة وأطلقت رجليها للرّيح....

لقد كان بمثابة كابوس لكلّ التّلاميذ والتّلميذات، وكنت بدوري